Turning the Corner: Strategies in Monumental Islamic Epigraphy and Decoration, Mainly in Cairo

ركن الزاوية: استراتيجيات النقوش الزخرفية المعمارية الإسلامية وخاصة في القاهرة

*Bernard O'Kane**

ملخص

تناقش هذه الورقة البحثية بعض الطرق التي اتبعها المصممون، والخطاطون أو الصناع (على الرغم من عدم وضوح التمييز بين تخصصاتهم المختلفة) في تنفيذ النقوش الكتابية التي كانت تتقاطع في اتجاهات مختلفة سواء على مستوى رأسي أو مستوى أفقي. إن استخدام الكتابة العربية –حتى في البلدان غير الناطقة بالعربية– يتطلب قدرًا من وحدة الموضوع، وقد تم دراسة أمثلة تدلل على هذه الوحدة الموضوعية من المغرب إلى إيران، ومنذ ظهور الإسلام إلى القرن السادس عشر الميلادي.

تميزت المخطوطات القرآنية المبكرة بحرية توزيع الكلمات على الأسطر، وهو ما يعتبر أيضًا سمة من سمات النقوش المبكرة، والتي ظلت شائعة للغاية في القرون اللاحقة. كانت أبرز المناطق الأكثر شيوعًا لتسجيل النقوش هي الجوانب الأربعة لمنطقة انتقال الدخلات المعقودة، مما يستلزم وجود أربعة أركان ذات زوايا قائمة. ونجد هنا ظهرت أيضًا رغبة أولية لتوزيع الكلمات على أركان الزاوية (نجد مثالاً مبكرًا لهذه الحالة في جامع الزيتونة في تونس (٨٦٤ م). كذلك شكل توزيع كلمات النص على المحاريب والأبواب مشكلة أخرى، حين بدأت في الظهور مع بداية إدراج النقوش على المحاريب والأبواب منذ القرن العاشر الميلادي وما بعده. كان على المصممين عند تأطير النقوش (تصميم النقوش في أطر أو طرز) أن يتعاملوا مع مسألة كيفية تطويع أركان الزاوية بما يتلاءم مع النقش، وهو أدى إلى ظهور مشكلة توزيع النقش على الجوانب الأربعة للمربع حتى يمكن بسط المحارف أفقياً. تميزت العمارة الدينية في القاهرة في أواخر فترة حكم الدولة الأيوبية وما بعدها باستخدام النوافذ في العمارة داخل التجويفات، مما شكل تحديًّا للمصممين المعماريين لتوزيع النقش على زوايا قائمة وضيقة المساحة.

كذلك تناقش هذه الورقة البحثية الحلول التي توصل لها المصمم أو الصانع (في حالة قيامه بتنفيذ النقش) لحل التعارض المستمر بين سهولة التصميم والوضوح. إن أحد أهمية وضرورة وضوح وقرائية نقوش تأسيس المنشآت هو إضفاء شرعية على ملكية تلك المباني. الأمر الآخر هو زيادة الاعتماد على الخطاطين الذين وضعوا مسبقًا تصميم النقوش بشكل أكثر دقة، مما ساعد بدوره في تقليل تكلفة الورق المستخدم في تصميم النقش، لكن في بعض الحالات التي لا يكون فيها الخطاط مشاركًا في تصميم النقش، فإن مستوى تعليمه يكون عاملاً هامًا في توزيع كلمات النقش خاصة النقوش الجنائزية. أما الأمر المثير للدهشة هو الوقت الذي استغرقته ظاهرة توزيع كلمات النقش على أركان الزوايا حتى تختفي؛ حيث لم تنته تلك الممارسة بالكامل تقريبًا إلا مع بداية القرن السادس عشر الميلادي.